اللغة والعقل: دراسة في علم اللغة النفسي

فايز عيسى المحاسنة*

تاريخ تقديم البحث: ٢٠٢١/٢/١٤م. تاريخ قبول البحث: ٣/٥ /٢٠٢١م.

ملخص

يجمع الباحثون من علماء اللغويات النفسية، ومن لغويين وغيرهم، على حقيقة اكتساب اللغة، غير أنهم يختلفون في تفسيرهم لهذه العملية، وتتعدد آراؤهم حولها، بسبب من اختلافهم في الاتجاهات النظرية التي يصدرون عنها، وهي التي تشكل رؤيتهم بما يتفرع عنها من مفاهيم ونماذج.

ولعل أبرز اتجاهين من الاتجاهات النظرية التي أثرت في دراسة اللغة والتفكير، واللغة واكتسابها، هما: الاتجاه السلوكي البنيوي، ونظرياته النفسية واللغوية، والاتجاه المعرفي العقلاني ممثلاً بآراء تشومسكي، وستيفن بنكر ممن تبنوا هذا الاتجاه.

ترى هذه الورقة أَن اللغة ملكة لدى الإنسان وفاقاً لشومسكي، فهو يولد مزوداً بمعرفة مبرمجة أولياً، أوْ خطة أساسية للغة، أوْ ما قيل: بوجود بعض القيود أساس في اكتساب اللغة، مصحوبة بمنظومة صغيرة من الوسائط / (المتغيرات) المتنوعة التي تشبه قائمة من الاختيارات المتاحة، وهي التي تختلف اللغات في تثبيت قيمها.

الكلمات الدالة: اللغة والعقل، علم اللغة النفسي، شومسكي.

* قسم اللغة العربية، جامعة مؤتة.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة. الكرك، الأردن.

Language and Mind: A Study in Psycholinguistics

Dr. Fayez Issa Al-Mahsneh

Abstract

The researchers either as Psycholinguistics scientists, linguists and others, agree about the fact of language acquisition, but they disagree in their interpretation to this process. They also have multiple views about that because of disagreement in theoretical trends that they issue about it, which forms their vision of what can be subdivided from that of concepts and models.

The two most notable theoretical trends that affected the study of language and thinking, language and acquisition are: The structural behavioral trend with its psychological and linguistic theories, as well as the cognitive rational direction which is represented by the views of Chomsky and Steven Pinker, who adopted this trend.

This study considers language as a gift for the humans, according to Chomsky, man is born provided by the programmed knowledge initially, or a basic plan for language, it was also said that there are some restrictions which are considered to be as a foundation for language acquisition, which is accompanied by a small system of media / (the variables), which are similar to a list of the available choices, that languages differ in installing their values.

Key words: Language and Mind, psycholinguistics, Chomsky.

مقدمة:

شهد منتصف القرن العشرين، ثورة علمية في حقل اللسانيات، شَملتْ أساليب البحث اللساني ومناهجه، والمنطلقات التي يتأسس عليها، وما تبع ذلك من إعادة تعريف لموضوعه _ اللغة البشرية، والنظرية اللسانية.

وهذا لا يعني أَن التجديد في هذا القرن، تجديد لا صلة له بالماضي، صحيحٌ أن السنوات القريبة من عام ١٩٠٠ م، تمثل منعطفاً مهماً في تاريخ اللسانيات الحديثة، غير أن تشومسكي، وهو من أكثر اللسانيين المحدثين تجديداً، يؤكد على العلاقة بين عمله وعمل الفيلسوف فيلهلم فون همبولدت Wilhelm von Humboldt (١٧٦٧ – ١٨٣٨ م)، وأَعمال الفلاسفة العقلانيين في القرن السابع عشر في فرنسا [١].

اختلفت الآراء حول طبيعة اللغة، وفي تفسير اكتسابها وتعلمها وتعليمها، ويرجع ذلك إلى المنطلقات النظرية التي يصدرون عنها، وقد نشأ عن ذلك نظريات لعل أظهرها البنيوية (Structural Theory)، والنظرية التحويلية التوليدية (Transformational –Generative Theory)وكان للنظريات النفسية، سببٌ من هذا ولا سيما في المهاد النظري، كتفسير طبيعة اللغة، وكيفية اكتسابها، وما يتبع ذلك من جوانب تطبيقية كـ تعلم اللغة وتعليمها، ولعل أبرز النظريات النفسية التي تناولت هذه الجوانب، النظرية السلوكية (Behavioral Theory)، والنظرية المعرفية أوْ العقلانية [٢] Congnitive/ Rationalist Theory

يُعَدعلم اللغة النفسي علماً حديث النشأة، على الرغم من أَن بداياته كانت مع أواخر القرن التاسع عشر، في كتابات اللغويين، أوْ في إِشاراتهم إِلى أَهمية الجوانب النفسية في دراسة اللغة، وهو ثمرة الالتقاء بين علم اللغة، وعلم النفس، الذي بدأ في أمريكيا في أوائل الخمسينيات من القرن العشرين، عندما قام تعاون وثيق بين علماء اللغة وعلماء النفس [٣].

(١) مدارس اللسانيات: التسابق والتطور / تأليف جفري سامسون؛ ترجمة محمد زياد كبة. – ط١ ص١. – الرياض: مطابع جامعة الملك سعود، ١٤١٧ هـ.

(٢) اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية / تأليف عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي. – ط١، ص ٢٠. – الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، ١٤٢٠ هـ.

(٣) علم اللغة النفسي / تأليف عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي. – ط١، ص ٢٥ الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، ١٤٢٧ هـ وانظر: النظريات اللغوية والنفسية، وتعليم اللغة العربية، العصيلي، ص ١٣.

بدأ الالتقاء بين هذين العلمين عندما اتفقت آراء اللغويين البنيويين، أمثال بلومفيلد وغيره مع آراء النفسيين السلوكيين من علماء النفس، أمثال سكنر في النظرة إلى اللغة وتعلمها وتعليمها.

بيد أن النشأة الحقيقة له، والتي مهدت لاستقلاله، بدأت مع بروز النظرية التوليدية التحويلية لمؤسسها تشومسكي في أواخر الستينيات من هذا القرن، عندما خرج بآرائه ونظرياته الثورية التي نسفتْ كثيراً من المفاهيم اللغوية والنفسية السائدة آنذاك. تلك المفاهيم التقليدية التي كانت قائمة على أساس من النظرية البنيوية الشكلية في علم اللغة، والنظرية السلوكية في علم النفس [١].

أهداف علم اللغة النفسي

تهدف دراسة اللغة والعقل إلى وضع نموذج لأعمال العقل بما يتعلق باللغة، وعلى غير شاكلة دراسة اللغة والدماغ، فإنها لا تحاول ربط اكتشافاتها بالحقيقة الفيزيائية. فيحاول المرء العامل على اللغة والعقل، أن يقدم خريطة للعقل... أي لنقاط الوصل في هذا النظام [٢].

يمكن فهم جوهر اللغويات النفسية على أنه تخزين، واستيعاب، واستعمال اللغة واكتسابها بأي وسيلة (منطوقة، أو مكتوبة، أو مؤشرة، أوْ ملموسة [٣].

يهتم أصحاب علم اللغة النفسي بالتفسير اللغوي للعمليات العقلية ذات العلاقة بفهم اللغة واستعمالها واكتسابها، كما يهتمون بالبحث في أثر القيود النفسية على فهم اللغة واستعمالها وبخاصة ما يتعلق بالذاكرة [٤].

ويحدد أهداف علم اللغة النفسي، الأسئلة الآتية:

كيف يكتسب الإنسان اللغة، وكيف يتعلمها؟

وكيف يفهم الإنسان الكلام، وكيف ينتجه؟

وما وظيفة القواعد العقلية في العمليات التواصلية؟

وما الآليات العصبية التي تتحكم في ذلك؟

(١) النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية، العصيلي، ١٣، ١٤.

(٢) الموسوعة اللغوية / تحرير ن. ي. كولنج. _ ط١ م٢ ص ٣٣٣. _ الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، ١٤٢١ هـ.

(٣) المرجع نفسه، م٢، ص ٣٣٣.

(٤) علم اللغة النفسي، العصيلي، ٢٩.

وما المشكلات التي تؤثر في اكتساب اللغة، وفهمها واستعمالها [١]؟

السلوكية

كانت العلوم الاجتماعية في الخمسينيات من القرن العشرين تخضع للمدرسة السلوكية، وهي المدرسة التي كان من أعلامها جون واتسن، و. ب. سكنر، وقد كانت بعض المصطلحات العقلية مثل: يعرف، وفطري، ويظن، توصف بأَنها غير علمية، أَما كلمتا عقل وغريزي، فقد كانتا قذرتين، وكان السلوك يُفسرُ بقوانين قليلة التعلم عن طريق مبادئ الإثارة والاستجابة [٢].

بل إن هذا الاتجاه كان يرتاب من كل لفظ أوْ مصطلح يومئ إلى العقل بسبب. وكانت تنبذُ شواهد الاستبطان* على أساس أن لكل شخص أفكاره وخبراته الشخصية [٣].

كان على علم النفس _ من وجهة نظر السلوكية _ أن يحصر نفسه فيما يمكن ملاحظته بصورة مباشرة، فهو يجب أنْ يُعنى بالسلوك الظاهر لا بالحالات الذهنية غير الملاحظة، فالمعرفة العلمية هي التي تعتمد فحسب على خبرة الحواس، وهو ما يقابل العقلانية (Rationalism)، التي تؤكد على الدور الذي يلعبه العقل في اكتساب المعرفة، وتؤكد على قدرة العقل على الاستنباط من المبادئ الأولية [٤].

بل إنها تؤكد كذلك على دور التنشئة أكثر من الطبيعة، وتعزو أكثر العوامل المؤثرة إلى البيئة وأقلها إلى الوراثة [٥].

كما أَنها ترفض المعلومات التي لا تقبل الملاحظة المباشرة، وعليه، فإنها لا تسلم بوجود أي شيء لا يمكن ملاحظته أوْ قياسه وترى أن سلوك الإنسان لا يفسره وجود العقل، وإنما تفسره أنماط الاستجابات العضوية للمثيرات التي تقدمها البيئة الفيزيائية المحيطة بالكائن الحي [٦].

---

(١) علم اللغة النفسي، العصيلي، ٣٥.

(٢) الغريزة اللغوية = The Language Instinct: كيف يبدع العقل اللغة / تأليف ستيفن بنكر؛ ترجمة حمزة بن قبلان المزيني. –ط ١ ص٢٩. – الرياض: دار المريخ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م. وانظر المدخل السلوكي لدراسة اللغة.

(٣) المدخل السلوكي لدراسة اللغة، مصطفى التوني، ١٣.

(٤) المدخل السلوكي لدراسة اللغة، مصطفى التوني، ١٣.

(٥) المرجع نفسه، ١٤.

(٦) المرجع نفسه، ١٤.

ويرى السلوكيون المتشددون في بداية هذا القرن (القرن العشرين) أن الدماغ يبدأ صفحة بيضاء، والذكاء ينتج عن التعلم، والتعلم ينتج عن الاستجابات للحوافز المدعومة. فكل شيء يمكنه أن يتعلم أي شيء إذا أعطي الحوافز الصحيحة، ونال التشجيع على الاستجابة الصحيحة لتلك الحوافز [١]. ولكن، كيف تنظر السلوكية إلى اللغة؟

تنظر السلوكية إلى اللغة على أنها نوع من أنواع السلوك، ليس فيه إلا ما نجده في ظاهره، وأن تعلمها يجري كما يجري تعلم أنواع السلوك الأخرى [٢].

يعد بلومفيلد أول من أدخل مبادئ السلوكية في دراسة اللغة، فهو واحد من الرواد الثلاثة، الذين وضعوا أسس علم اللغة الأمريكي، وهم: فرانز بوعز، وإدوارد سابير، ويعد بلومفيلد رأس المدرسة البنائية (Structuralism) [٣].

اتخذت اللسانيات البنيوية سنداً فلسفياً لها في التجريبية، حيث رفضت اللسانيات الأمريكية كل ما هو ليس ظاهراً، وما ليس له وجود مادي في الكلام في تحليلاتها ومقولاتها وتنظيراتها. وقصرت البحث اللساني على استنباط إجراءات لتحليل المعطيات اللغوية _ أي المادة اللغوية _ إلى أجزائها ومكوناتها وما يتطلبه ذلك من وضع الوحدات التحليلية لكل مستوى من مستويات النظام اللغوي [٤].

ونظر اللسانيون البنيويون إلى السلوك اللغوي نظرتهم إلى أنواع السلوك الأخرى: يتعلمه الإنسان كما يتعلم غيره من المهارات عن طريق آلية تعلم بسيطة تتمثل بالفعل ورده وتعزيزهما، وهي آلية التعلم الوحيدة التي تقترحها المدرسة السلوكية في علم النفس في تفسير طبيعة المعرفة. وعليه، فإن اللغة ما هي إلا نظام من العادات السلوكية يتعلمها الإنسان كما يتعلم غيرها من المهارات والعادات، وتحكم تعلمها نفس الآلية [٥]. فاللغة نظام خارجي يكتسبه الإنسان بعد أن كان ذهنه صفحةً بيضاء خالية منه [٦].

(١) اللغة وسلوك الإنسان =Language and Human Behavior / تأليف ديريك بيكرتون؛ ترجمة محمد زياد كبة. – ط١ ص ٩٧. – الرياض: إدارة النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م.

(٢) مقدمة في نظرية القواعد التوليدية / تأليف مرتضى جواد باقر. – ط١ ص٩. – عمان: دار الشروق، ٢٠٠٢ م.

(٣) المدخل السلوكي لدراسة اللغة، مصطفى التوني، ٢٧.

(٤) مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، مرتضى جواد باقر، ١٧، ١٨.

(٥) مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، مرتضى جواد باقر، ١٨.

(٦) المرجع نفسه، ١٨.

ولكن الذي يجب أن لا نغفله هنا، أن اللسانيات البنيوية، انتقلت باللغة من كونها جزءاً من النشاطات الإنسانية، إلى استقلالها استقلالاً تاماً، فأصبحت موضوعاً مستقلاً، وقد وجد هذا الاستقلال دعماً من بروز اللسانيات البنيوية في أوربا وأمريكيا، في البحوث المستفيضة في مراكز علمية مثل جنيف، حيث عمل فرديناند دي سويسر، ومثل مدرسة براغ وروادها ياكوبسون وتروبتسكوي [١].

لم تفلح المدرسة السلوكية بتفسير السلوك اللغوي، فالأطفال الذين يتعلمون لغاتهم الأم عن طريق إعادة إنتاج الأقوال التي سمعوها ممن حولهم من قبل بصورة كلية أوْ جزئية، ليكون بمقدورهم بعد فترة وجيزة، إنتاج أقوال لم يسمعوها من قبل، مما يحتم أن يكون وراء ذلك شيءٌ غير التقليد _ الذي يتسم بسمتي الخلق والإبداع، فلم يفسروا لنا الآلية التي في ضوئها يتم ذلك.

وهم كذلك يفترضون أن اللغة سلسلة لا نهائية من الترابطات، وهذا رأي غير مقبول، وذلك لأنه يتعارض مع مدة اكتساب الطفل لغته، ويتعارض كذلك مع مبدأ " فقر المنبه "، ومع التشوهات اللغوية التي يتعرض لها الطفل طيلة فترة الاكتساب.

تشومسكي وعلم اللغة النفسي (اللغة والعقل).

لا يكفي أن ننظر إلى اللغة على أنها نوع من أَنواع السلوك، بل يجب أن تتعدى دراستها إلى تفسير طبيعتها، واكتسابها، وكيف يستخدمها الطفل؟

حمل تشومسكي على المدرسة السلوكية، ونقدها، وبين قصورها، ولاسيما فيما ظهر في عمل عالم النفس السلوكي (سكنر) في كتابه (السلوك اللفظي)، وقد طرح بديلاً عن ذلك في أعماله ٥٧ و ٦٤ و ٦٥ [٢].

شَجعتْ أعمال تشومسكي علماء النفس على القيام بتجارب كثيرة للتحقق من الأسس التي طرحها وخاصة ما يتصل بالجمل النواة والتحويلات، وقد أسهمتْ هذه التجارب في تأسيس فرع جديد في علم اللغة عُرف باسم علم اللغة النفسي، وقد كشف هذا العلم جوانب القصور في التفسير السلوكي للغة[٣].

(١) مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، مرتضى جواد باقر، ص ١٦.

(٢) المدخل السلوكي لدراسة اللغة، مصطفى التوني، ص ٩.

(٣) المدخل السلوكي لدراسة اللغة، مصطفى التوني، ٩.

طبيعة اللغة آراء وأفكار

تعددت الآراء حول اللغة، فيرى بعضهم أنها نوع من أنواع السلوك، كما تذهب إلى ذلك المدرسة السلوكية، وقد عرضنا لذلك فيما تقدم من هذه الورقة. ويرى آخرون أنها ظاهرة ثقافية، وتؤلف تواضعات اتصالية، وهي نتاج تطورات تاريخية وتطور فردي معاً [١].

ويرى بيكرتون، أن الإنسان يتميز عن الكائنات الحية الأخرى، بما سماه بالتفكير المفصول، كي يتجنب ردود الفعل غير الملائمة للكلمات [٢].

وقد تبنى كثير من السيكولوجيين، مثل: ستيفن بنكر رأي تشومسكي في أن اللغة هي تكيف بيولوجي عالي التخصصية.

وعليه، فإن الآراء التي تحدثت عن طبيعة اللغة لا تخرج عن فكرتين أساسيتين هما:

الأولى: أن قدرتنا اللغوية الغريبة قد تعتمد ببساطة على التغيرات التطورية.

الثانية: أن البشر يمتلكون جينة (مورثة) نحوية خاصة أوْ جهازاً خاصاً لاكتساب اللغة [٣].

عرض الآراء

عرفنا مما تقدم بشأن السلوكية، أن الدراسات البنيوية التي أجرتها اللسانيات البنيوية حاولت أن تتفهم الطريقة التي يؤدي بها المخ تلك العمليات عن طريق تحليل المكونات النحوية والصوتية المتضمنة في إنتاج اللغة وإدراكها، بينما تعطي أهمية أقل للمعاني وللرسالة التي تهدف إلى توصيلها

(١) الثقافة والمعرفة البشرية = The Cultural Origins Of Human Cognitionتأليف / ميشيل توما سيللو؛ ترجمة شوقي جلال ط١، ص٩. – الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ _ يونيو ٢٠٠٦ م. – (سلسلة عالم المعرفة؛ ع ٣٢٨). (سلسلة عالم المعرفة ؛ ع ٣٢٥) .

(٢) اللغة وسلوك الإنسان، بيكرتون ص ١١١.

(٣) في نشأة اللغة = From Hand To Mouth The Origins Of Languageتأليف / ما يكل كورباليس؛ ترجمة محمود ماجد عمر (د. ط) ص ٢٧. – الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مارس ٢٠٠٦. – (سلسلة عالم المعرفة؛ ع ٣٢٥).

[١]. ولكنها على كل حال، أفادت البحث اللساني، باستقلاله الموضوعي، فحصرته في اللغة لذاتها بعد أنْ كان جزءاً من النشاطات الإنسانية المختلفة [٢]

يعارض سيللو النظريات التي تتحدث عن مكونات معرفية فطرية أساسية أوْ معيارية لدى البشر، وأشهر هذه النظريات من المعاصرين نظرية نعوم تشومسكي، ويرى سيللو أن تشومسكي ومن يؤازره من أتباعه يعبرون بنظريتهم هذه عن قصور تقدير نتائج العمليات التاريخية _ الثقافية البشرية، أي عمليات التكوين التاريخي الاجتماعي التراكمي، ويرفض بنص كلامه، أَنواع الحتمية الجينية السطحية أوْ الساذجة، التي تغشى مجالات واسعة من العلوم الاجتماعية والسلوكية والمعرفية، وهو لا يرضى كذلك بمقولة ستيفن بنكر في أن الأطفال يبدأون في مستهل حياتهم بالتكوينات اللسانية المجردة شأن الكبار؛ لأنهم يولدون مزودين بمبادئ لسانية فطرية، ويفسر عدم قبوله بذلك، ويقترح بديلاً، فيقول [٣]: " إن هذه النظرية يمكن أن تصلح فقط لو أَنَّ جميع اللغات تعمل على أساس مبادئ لسانية واحدة، وهذا غير صحيح، والبديل هو الرأي القائل، استخدام قدراتهم على التعلم المعرفية والاجتماعية والثقافية، وهي قدرات نوعية كلية لفهم واكتساب التكوينات اللسانية التي أبدعتها ثقافتهم الخاصة على مدى التاريخ بفضل عمليات التكوين الاجتماعي ".

يسمع الأطفال فقط منطوقات عيانية، ولكنهم يحاولون بناء تكوينات لسانية مجردة من خلال هذه المنطوقات، فالأطفال لديهم استعداد بيولوجي لاكتساب لغة طبيعية بوسائل عدة، بمعنى أن لديهم مهارات أساسية معرفية، ومعرفية اجتماعية، وسمعية صوتية، ومع هذا حتى وإن افترضنا أن الأطفال يولدون مزودين فطرياً بقواعد نحوية قابلة للتطبيق على جميع لغات العالم، فإن الأفراد يظلون بحاجة إلى تعلم التكوينات اللسانية المحددة العيانية منها والمجردة الخاصة بلغتهم [٤].

ويرى سيللو أن ثَمةَ عملياتٍ هامة جداً في ذلك، وهي: التعلم الثقافي، والخطاب والمحادثة، والتجريد والتخطيط [٥].

---

(١) المخ البشري= The Brain An Introduction To The Psychology Of The Human Brain And Behaviour؛ مدخل إلى دراسة السيكولوجيا والسلوك / تأليف كرستين تمبل؛ ترجمة عاطف أحمد (د. ط) ص٨٤. – الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،. – (ع؛ ٢٨٧) (سلسلة عالم المعرفة؛ ع ٢٨٧) .

(٢) مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، مرتضى جواد باقر، ص ١٥.

(٣) الثقافة والمعرفة البشرية، سيللو، ص ١٦٠ ,

(٤) المرجع نفسه، ص ١٦٩.

(٥) الثقافة والمعرفة البشرية، سيللو، ١٦٩.

يفهم الأطفال ولا سيما في الشهرين التاسع والثاني عشر، الأشخاص الآخرين، على أَنهم عناصر فاعلة قصدية، أي قصد التواصل، غير أن هذا القصد التواصلي لا يمكن أن يحدث إلا ضمن نوع من مشاهد الانتباه المشترك الذي يشكل الأساس المعرفي، حيث يكتسب الأطفال الاستخدام المتعارف عليه لرمز لغوي عن طريق تعلم المشاركة في قالب تفاعلي، ويفهم هذا ابتداءً بطريقة غير لسانية، وهذا بدايات تأسيس اللغة على الخبرات المشتركة ذات الدلالة الاجتماعية التي يدركها الطفل (١).

ثمة عنصرٌ آخر، وهو وجود عالم اجتماعي خارجي، يعيش فيه الطفل، فلكي يكتسب الطفل يجب أنْ يحيا في عالم صاغ أنشطة اجتماعية يمكن فهمها (٢).

تؤدي عملية اكتساب الرموز اللغوية واستخدامها، إلى حدوث تحول أساسي في طبيعة التمثيل المعرفي، فالتكوينات اللغوية أوْ التركيبات اللغوية الكلية (الجشطالت)، لا يتعلمها مفصولة عن أدوار المشاركين التي تصاحبها دائماً، فمثلاً: كلمة (يعطي)، تُكتسبُ بصحبة أفعال العطاء:

المعطِي، والشيء المُعطى، والشخص المُعطى له، بل إنما لا يمكن أن نتخيل فعل العطاء في غياب هذه الأدوار المشاركة، ويحمل على ذلك أيضاً، الكلمات الوظيفية جميعها، نحو:

"خارج"، و" من" و أدوات الإضافة والملكية، فلا يمكن تعلمها إلا باعتبارها علامات بين كيانين أوْ موضعين آخرين (٣).

أما بيكرتون *، فيقدم رؤيته عن اللغة في ضوء حقيقتين تناولهما في كتابه بإسهاب، وهما علاقة اللغة بالتفكير، والوعي وأنواعه عند الكائنات الحية.

تذكر تسيرتشلاند _ بالموافقة _ قولَ هوكر (٤): " يجب النظر إلى اللغة بوصفها خلاصة سطحية من عمليات أغنى وأشمل تجري في قشرة الدماغ، وهي بمثابة تكثيف مناسب ينتقل إلى اللسان واليدين لأغراض اجتماعية ".

(١) المرجع نفسه، ص ١٣١.

(٢) الثقافة والمعرفة البشرية، سيللو، ص ١٣١.

(٣) الثقافة والمعرفة البشرية، سيللو، ص ١٥٩ ,

* من علماء اللسانيات العصبية.

(٤) اللغة وسلوك الإنسان، بيكرتون، ص ١٢٣.

فكيف نصل إلى هذه الخلاصة السطحية، كما يرى بيكرتون ؟

يرى بيكرتون _ كما يرى غيره _ أنَ اللغة محصورة في النوع الإنساني، فأهم ما يميزنا عن سائر الأنواع الأخرى من المخلوقات، هو إنتاج الأنماط النحوية لا شعورياً، وبلا تفكير، والنحو لدينا من الصفات البيولوجية للنوع الإنساني، وهو الآلية الداخلية التي توجه الضمائر توجيهاً مناسباً، وليس النحو سوى رابطة، وبدونه لن يبقى لدينا ما نعبر عنه، فبه نستطيع الكلام عن أي شيء دون أن نعير الوسائل التي نبني بها جملنا أي اهتمام، وبه يستطيع مستمعونا أَن يفهموا كل ما نقوله في معزل عن السياق اللغوي، أوْ فوق اللغوي، أوْ المعرفة البرجماتية، وما شابه ذلك. فاللغة الحق قابلة للتفسير مباشرة؛ لأن النحو يزودنا بأدلة بنيوية كثيرة، تكفي دوما لإخبارنا من فعل ماذا وبماذا، وإلى أين، وهي أدلة تأتينا بشكل آلي، وبالرغم منا من خلال البنى المجردة التي تنتجها الآلة النحوية [١].

كيف ينظر بيكرتون للتمثيل اللغوي ؟

لم يعرف تاريخ الإنسان شيئاً أشد استعصاء على البحث من طبيعة العقل، وكان واضحاً جلياً بالنسبة إلى كثير من الناس أَن كلامنا يمتلك عنصراً متحرراً من القوانين الفيزيائية التي تحكم بقية المخلوقات [٢].

يظهر التاريخ اللغوي للإنسان البدائي في مرحلتين:

الأولى: تحتوي على معجم بدون قواعد نحوية، أما الثانية، فهي التي تظهر فيها آليات منتجة لا حدود لها، لإيجاد القواعد المعروفة [٣]. وتعود جذور المعجم إلى أمرين: أولهما القدرة على تصنيف الأشياء، ووضعها في فئات، وثانيهما القدرة على تشكيل الروابط الفكرية (Associations) بين مختلف الحوافز، فبدون الفئات لا يمكن أن يكون هناك أَشياء تربط بينها الرموز اللغوية، ولإيجاد معجم حقيقي تكون مكوناته ذات مدلولات حقيقية، لم تكن مسميات العناصر هذه بحاجة إلى أكثر من سمتين إضافيتين، وهما: الانفصال عن الظواهر الفيزيائية للمفهوم الذي تمثله، واختزانها في بنية هرمية من علاقات المعنى ذات قدرة كامنة على تمثيل مجال الوعي بأكمله [٤].

(١) اللغة وسلوك الإنسان، بيكرتون، ٣٨.

(٢) اللغة وسلوك الإنسان، بيكرتون، ص ٣٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ٥٣.

(٤) اللغة وسلوك الإنسان، بيكرتون، ص ٥٣.

تمثل الكلمات في الدماغ في أي مكان، وبأي طريقة، ويجب الإبقاء على هذا التمثيل مستقلاً عن الاتصال المباشر بمراكز الحركة، إذا أردنا تجنب ردود الفعل غير الملائمة للكلمات [١].

إن منطقة تخزين المفاهيم النحوية في الدماغ ليست على اتصال مباشر بأي روتين سلوكي معين، فاللغة تؤدي دور المنطقة العازلة بيننا وبين الواقع، وفي تلك المنطقة العازلة نأخذ مفهوم الأشياء ونقلبها من وجوه عدة دون الشعور بالحاجة إلى عمل أي فعل سلوكي مباشر [٢].

الشكل أدناه يوضح تصنيف الوعي إلى مستويات ثلاثة، حيث يمثل الوعي ٣، القدرة على الإخبار، بصيغة لغوية.

- الحفاظ على التوازن الداخلي.
- وظيفة التوسط (وهي عملية موصولة رغبة في تحقيق التوازن الداخلي الذي يسعى إليه

شكل (١)

الوعي ١ (الوعي بالنفس).

- عملية غير موصولة
- يتضمن الوعي ١؛ لأنه ليس إلا الوعي بالوعي ١.

الوعي ٢ (الوعي بالوعي).

- وهذه المرحلة ما هي إلا مرحلة الوعي ٢ مضافاً إليها

الوعي ٣ (القدرة على الإخبار بالوعي بصيغة لغوية).

(١) المرجع نفسه، ص ٦٢.

(٢) اللغة وسلوك الإنسان، بيكرتون، ص ٦٢

قسم بيكرتون الوعي إلى ثلاثة مستويات:

الوعي ١، ويعني الاستجابة للبيئة من أجل المحافظة على الحياة وهذا ما يعنيه بتحقيق التوازن الداخلي، وهو مرتبط بالمعالجة الموصولة، بمعنى أنه يتوسط بين النظام العصبي، وسائر الطبيعة، وهو شركة بين المخلوقات كافة بما فيها الإنسان.

الوعي ٢: ويعني الوعي بالوعي، ولا يوجد إلا لدى أنواع من المخلوقات التي لا تعفي أجزاء من أدمغتها من هذه الحركة البينية الآنية.

الوعي ٣: وهو يعني القدرة على الإخبار بالوعي، وله صيغة لغوية خاصة [١].

يستعمل بيكرتون مصطلح "اللغة المجردة "، وهو ما يقابل مصطلح البنية التصورية عند "جاكندوف"، ويعني بيكرتون باللغة المجردة، هي المحرك للعمليات الحسابية اللغوية بمفهومها المجرد _ أي المختزن من المفاهيم اللغوية والعمليات النحوية الجوهرية، التي تأخذ المفاهيم، وتسند إليها الأدوار الموضوعية، وترتبها هرمياً في هيئة بنى من مسند إليه ومسند بحيث يكون واضحاً بشكل لا لبس فيه [٢].

لا تضم البنية التصورية إلا العناصر الكلية (Universal)أي اللغة بمفهومها المجرد، وتستبعد تلك العناصر التي تنتسب إلى لغة بعينها، وهي لا تحتوي على المعلومات الدلالية فحسب، بل وتعبر أيضاً عن العلاقات الموضوعية] [المفاهيم، مثل: الفاعل الحقيقي (Agent)، والهدف (Goal)، والمصدر (Source)، وما إلى ذلك]، كما تعبر عن العلاقات البنيوية (أي العلاقات الهرمية، مثل: القضية (Argument)، والعبارة الرأس (Head)، والظرف أوْ النعت (Modifier)، وما شابه ذلك]والعلاقات الموضوعية والبنيوية تمثل بالطبع جوهر المواد التي تصنع النحو [٣].

ويخلص بيكرتون إلى أن للبشر ملكة لغوية مستقلة وجاهزة مسبقاً، لا تحتاج إلا لإكسابها بالكلمات حتى تخرج لغة كاملة، فهي كاملة التركيب وليست بحاجة إلى مؤشر سليم، ولا إلى ضبط للمعايير [٤].

(١)اللغة وسلوك الإنسان، بيكرتون، ص ١٤٠، ١٤٣، ١٤٦.

(٢) اللغة وسلوك الإنسان، بيكرتون، ص ١٣٥.

(٣) اللغة وسلوك الإنسان، بيكرتون، ص ١٢٨.

(٤) اللغة وسلوك الإنسان، بيكرتون، ص ١٢٣.

تشومسكي والدرس اللغوي الحديث

يقول ب. هـ. ماثيوز [١]: "وفجأة يظهر تشومسكي كنحوي لامع وفيلسوف لغة مهم". حقاً، يمكن التماس فلسفة اللغة عنده من خلال بحثه في طبيعة اللغة، وكيف يتعلم الطفل، وكيف تتطور قدرته اللغوية، وحين يبحث في تركيبات الجمل وبنائها [٢].

لم تكن المعتقدات اللغوية وحدها هي التي تغيرت، بل إن مناخ اللسانيات بأكمله قد تغير من جراء الانتصار الذي حققته الحركة التي بدأها تشومسكي، حتى أصبح أي لساني يقيس مكانته الفكرية إلى مكانة تشومسكي، بما أحدثه من ثورة في اللسانيات [٣].

لعل أحد المداخل التي تساعد على فهم فكر تشومسكي، تأثره ب ياكوبسون، الذي كان مهتماً بصورة أساسية بقضية الكليات الصوتية الوظيفية، إذ يعتقد أن الفوارق في البنى الصوتية بين لغات العالم ليست إلا مجرد فوارق سطحية تستبطن تحتها (تخفي تحتها) نظاماً مشتركاً، وعلى الرغم من أن ياكوبسون كتب أساساً عن الكليات الصوتية الوظيفية، إلا أنه كان يرى أَن المنهج ينطبق أيضاً على جميع مستويات البنية اللغوية [٤].

يسير تشومسكي على خُطى أفلاطون Plato و ديكارت (Descartes) ، فهو عقلاني ، يؤمن بأن العقل تركيب في غاية الثبات والتعقيد ، يحدد شكل نشاطه إلى حد بعيد . فما نقدر على تعلمه لا يعتمد على الحوافز التي نصطدم بها. بمحض الصدفة بقدر ما يعتمد على ملاءمة شكل تلك الحوافز لإيقاظ قدراتنا الذهنية الكامنة [٥].

ويمكن فهم الثورة التي أحدثتها هذه النظرية، إذا طبقنا فكرة التمييز بين الظاهر والحقيقة في الفلسفة على ميدان اللغة. يقول أفلاطون: إن العالم الذي نعيش فيه يعبر عن ظاهر لا عن حقيقة، لأن معرفتنا له تعتمد على شهادة الحواس، وقد تكون خادعة، فلا موضوعية فيها، فليس العالم

(١) الموسوعة اللغوية، م١، ص١١٣.

(٢) في فلسفة اللغة / تأليف محمود فهمي زيدان. – ط١ ص ١٤١. – بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

(٣) مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، جفري سامسون، ص ١٣٥.

(٤) مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، سامسون، ص١٣٦.

(٥) مدارس اللسانيات، ص ١٤٥.

المحسوس هو العالم الحقيقي، وإنما العالم الحقيقي هو ما يتحقق فيه الثبات وعدم التغير وما يمكننا إدراكه بالعقل لا بالحواس [١].

تشومسكي واللسانيات النفسية

كان لفكرة التمييز بين الظاهر والحقيقة. بروز ثلاثة مواقف حول اللغة تحتاج إلى تفسير، وهي:

الموقف الأول: بدء الطفل باكتساب بعض مفردات اللغة، وربط الكلمة بمعناها وبما تدل عليه من أَشياء من حوله.

وبدء تعلم قواعد النحو، وكيف يبنى أنواعاً من الجمل، حيث نجد أنه حين تتطور قدراته اللغوية، يصبح قادراً على تكوين جمل وبناء تراكيب لم يسبق له أن تعلمها من قبل.

أثار هذا الموقف دهشة تشومسكي، مما دفعه إلى القول بأن التفسير التجريبي لا يقدم حلاً أوْ رأياً مقبولاً، فحمله ذلك على البحث عن تفسير لذلك.

الموقف الثاني: ولتفسير الظاهرة السابقة، ارتأى ضرورة التمييز بين (القدرة اللغوية*) Competence، و (الأداء اللغوي**) Performance لدى الإنسان.

الموقف الثالث: هذا الموقف هو الخطوة الثانية في تفسير تلك القدرة الفطرية وتتلخص في التمييز بين الظاهر والحقيقة، لوقائع الحياة اللغوية فالظاهر، هو الأداء، والحقيقة هي تلك المقدرة القبلية، أوْ كما يقول أصحاب النظرية – إنه التمييز بين التركيب السطحي (Surface Structure) والتركيب العميق (Deep Structure) ، والتركيب العميق للجملة، هو الذي يكشف عن نسق القواعد اللغوية النابعة من ذات المتكلم، أوْ من المقدرة الفطرية، وعنصر الإبداع يتمثل في مقدرتنا على توصيل الأفكار باللغة؛ بجمل جديدة لم نسمعها من قبل [٢].

بقيت اللغويات النفسية – ربما بسبب منهجها المبكر المحدد – منطقة محدودة صغيرة ضمن علم النفس حتى منتصف القرن العشرين، ثم توسع الحقل ليصبح نظاماً فرعياً قائماً بذاته كنتيجة مباشرة لعمل اللغوي الأمريكي نعوم تشومسكي.

---

(١) في فلسفة اللغة، محمود فهمي زيدان، ص ١٤١.

* القدرة: يتضمن الأداء قواعد لم يتلقها الإنسان من قبل، وعليه يمكن الافتراض بأن الإنسان يمتلك بفطرته عدة قواعد صورية أولية يثيرها من كمونها، ما اكتسبه وتعلمه من قواعد النحو وتركيب الجمل الصحيحة.

** لأداء: هو طريقة كتابة جملة بسيطة أوْ مركبة، على مستوى الحديث الجاري.

(٢) في فلسفة اللغة، ص ١٤٣.

لقد دفع تشومسكي بالعمل في الأساس في اتجاهين:

فقد اقترح نموذجاً جديداً من القواعد التحويلية، ادعى أنها تمثل المعرفة اللغوية عند المرء، مما أدى إلى بحث مباشر في إمكانية توضيح القواعد التحويلية للطريقة التي يفهم بها الناس الجمل ويستعملونها ويتذكرونها. وادعى ثانياً أن قسماً كبيراً من اللغة مبرمج بالفطرة، مما شكل باعثاً قوياً للبحث في اكتساب الأطفال اللغة [١].

ظهرت في الستينيات بحوث اعتمدت بشكل أساسي على أعمال تشومكي، غير أَنها فشلت في إيجاد دليل قاطع يدعم مقترحاته، وعليه، فقد أصيب كثير من العلماء بخيبة أمل مما جعلهم ينفصلون عن تياره الفكري، ليبدأ أبحاثه بنفسه.

يتفق الباحثون – في هذا المجال – على نقطة هامة، ألا وهي أن نظام اللغة الإنسانية يمكن أن يكون " قالبياً " Modular؛ بمعنى أنه مؤلف من عدد من المكونات المستقلة، ولكنها متداخلة [٢].فهناك بنية خفية أعلى تمسك بالكلمات في أماكنها، وهو النظام الذي يقضي على المشكلات الناجمة عن أنظمة سلسلة الكلمات، وهي ما يطلق عليه البنية المركبية، التي تعمل كما لو أنها ذاكرة فائقة أوْ خطة كبرى للجمل كلها. وهذا ما يسمح بالتعامل ببساطة مع دمح الاعتمادات من بعد، مثل: ف، وإما.... أوْ [٣].

ما هي المبادئ التي تعمل عليها اللغة ؟

لعل من المفيد الإشارة إلى أساسين يرتبطان بعالمين أوروبيين عاشا في القرن التاسع عشر، الأساس الأول أوْ المبدأ الأول، وهو الذي أوضحه عالم اللسانيات السويسري دي سوسير، وهو " عشوائية العلامة " أي الربط الاتفاقي المحض بين الصوت والمعنى. والأَساس الثاني وراء الغريزة اللغوية، هي التي تصورها عبارة تنسب إلى وليم فون همبولت، الذي سبق تشومسكي في تصوراته، وهي [٤]: أن اللغة تَسْتَخْدم استخداماً غير نهائي وسيطاً نهائياً.

ثم لفت تشومسكي الأنظار إلى حقيقتين جوهريتين عن اللغة، الحقيقة الأولى: هي أن كل جملة ينطقها الإنسان أوْ يفهمها إنما هي ربط جديد بين الكلمات، وتظهر لأول مرة في تاريخ الكون، وعليه، فلا يمكن أن تكون اللغة رصيداً من الاستجابات، فلا بد أن يحوي العقل وصفة أوْ برنامجاً، يبني

(١) الموسوعة اللغوية، م٢، ص ٣٣٤.

(٢) الموسوعة اللغوية، م ٢، ص ٣٣٥.

(٣) الغريزة اللغوية، ستيفن بنكر، ص ١٢٧.

(٤) الغريزة اللغوية، ستيفن بنكر، ص ١٠٦.

عدداً غير متناه من الجمل مستخدماً قائمةً محدودة من الكلمات، ويمكن أنْ يسمى هذا البرنامج "نحواً عقلياً"(١).

أما الحقيقة الجوهرية الثانية، فهي أن الأطفال يُنَمونَ هذه الأنحاء المعقدة بصورة سريعة ومن غير تعليم مُقَنن، ويُعْطُون أثناء نموهم تفسيرات مُطرِدة لتركيبات الجمل الجديدة التي لم يسبق لهم التعامل معها، ولذلك فإن الأطفال كما يقول: لا بد أن يكونوا مجهزين فطرياً بخطة عامة لأنحاء اللغات كُلها، أي بـ " نحو كُلى "، وهو ما يُملي عليهم استخلاص الأنماط التركيبية من الكلام الذي ينطقه أهلوهم (٢).

إن فكرة تشومسكي تقوم بصورة جوهرية على أنه يستحيل تعلم اللغة من مادة الشواهد المتاحة، وأنه لا بد أن تكون هناك بِنية مقررة سلفاً لإرشادنا إلى اكتساب القواعد النحوية (٣).

لا يختار الخوارزم العقلي الموجود في أدمغتنا للنحو، الكلمات اعتماداً على مواقعها الخطية، كـ، الكلمة الأولى أوْ الكلمة الثانية، وما أشبه ذلك، ولكنه عوضاً من ذلك يقوم بنظم الكلمات في مركبات، والمركبات في مركبات أكبر منها وإعطاء كل كلمة منها اسماً عقلياً، مثل: المركب الاسمي الفاعل، أوْ المركب الفعلي. وهكذا (٤).

فالطريقة التي تعمل بها اللغة، هي أن يحتوي دماغ كل شخص رصيداً من الكلمات والمفاهيم التي تعنيها (أي معجماً عقلياً)، ومنظومة من القواعد التي تؤلف بين الكلمات للتعبير عن العلاقات بين المفاهيم (أي نحواً عقلياً) (٥).

وهذا الرأي خلاف ما يظن به بعض النفسانيين من أن اللغة الإنسانية تقوم على سلسلة ضخمة تختزن في الدماغ وهذه الفكرة متأثرة بنظريات الإثارة والاستجابة: إذ تستدعي إثارة ما، كلمة منطوقة استجابة لها، وبعد ذلك يدرك المتكلم إجابته هو، وهي التي تصبح الإثارة الجديدة التي تستدعي كلمة واحدة معينة من بين كلمات عديدة بصفتها استجابة جديدة وهكذا (٦).

---

(١) الغريزة اللغوية، ستيفن بنكر، ٢٩.

(٢) المرجع نفسه، ٢٩.

(٣) في نشأة اللغة = From Hand To Mouth The Origins Of Language تأليف: مايكل كورباليس؛ ترجمة ماجد عمر. – د. ط، ص ٢٥ مارس، ٢٠٠٦. – (سلسلة عالم المعرفة؛ ع ٣٢٥).

(٤) الغريزة اللغوية، ستيفن بنكر، ٥٢.

(٥) المرجع نفسه، ص ١٠٧.

(٦) الغريزة اللغويه، ص ١١٦.

هل اللغة الإنسانية سلسلة من الكلمات؟

إن النحو التأليفي الذي يقبع وراء اللغة الإنسانية لا يتمثل نظام سلسلة الكلمات أو كما يُسمى اصطلاحاً الحالة المتناهية (Finite - State) أو النموذج الماركوفي وهو نظام يعتمد على قوائم من الكلمات أوْ الجمل الجاهزة، ومجموعة من التعليمات للانتقال من قائمة إلى أخرى غير أن هذا النظام لا يصلح تفسيراً لكيفية عمل اللغة، فهو يقوم على مبدأ الاعتماد عن بعد بين كلمة وأخرى، لكن الجمل شيءٌ مختلف تماماً، فهي ليست تتابعاً من الكلمات يُربط بعضها ببعض بوساطة الاحتمالات الانتقالية وبدلاً من ذلك، فإن الناس يتعلمون ترتيب الكلمات أي: الفعل والاسم وغير ذلك [١].

ما الكيفية التي تتفاعل بها التجربة مع النظام المُثبت؟

إن اللغة المعروفة عند الطفل هي اللغة العقلية، ولديه دليل فطري يدله على الكيفية التي يعمل بها النحو، ويجب أن نتذكر أن الأطفال يُغَلفون القواعد ببعض المقولات النحوية، مثل: الاسم والفعل والفعل المساعد، ومما يهيئُ لهم ذلك، أننا نجد في اللغات كلها، أن الكلمات التي تدل على الأشياء والبشر أسماءً أوْ عبارات اسمية. أما الكلمات التي تدل على الأحداث والتغيرات أوْ الأحوال فأفعال، وتميل الكلمات التي تدل على نوعيات لأنْ تكون صفات، والكلمات التي تدل على الجهات أوْ الأماكن حروف جر.

وقد أوضحت التجارب التي تدرس إدراك الأطفال، أن الأطفال الرضع يمتلكون مفهوم الشيء قبل أن يتعلموا الكلمات التي تطلق على الأشياء، وأنهم يأتون إلى هذا العالم، وهم مزودون جميعاً بمهارات لغوية، ومن المحتمل جداً أن يكون التنظيم الأساسي للنحو مثبتاً في أدمغة الأطفال، ولكي يُعطى الطفلُ نحواً خاصاً لا بد من أن تتفاعل التجربة بشروطها [٢] مع النظام المثبت أي (الآلية النحوية)، كي تضمن توافق لغة الفرد مع لغة الآخرين المحيطين به، وعليه، فاللغة بهذا المعنى نشاط اجتماعي مهم آخر [٣].

وإذا كان من الممكن أن تحدس معاني جمل الأهل بصورة عامة من السياق فإن الطفل يمكن أن يستعمل هذه المعاني لتساعده في بناء النوع الصحيح لبنية المركب بأنواعه الاسمي والفعلي....الخ، فلا يحتاج الطفل إلى دليل عند بناء المركبات، فمثلاً يستطيع الطفل في العربية أن يربط بين النعت

(١) الغريزة اللغوية، ص ١٢٢.

(٢) الغريزة اللغوية، ص ٣٦٠، ٣٦١.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٥٣.

والمنعوت، نحو: سعيد كريم، فلا يقول كريم سعيدٌ، وهو هنا لا يحتاج إلى دليل مباشر، ولا إلى تغذية راجعة من الوالدين [١].

إذن الطفل يقوم بتسمية المركبات، ويقوم بعملية تصنيف للكلمات، وفق مقولات أقسام الكلام، وبنية المركب – بشرطة، دون أن يحتاجوا إلى اختزان جمل كثيرة، أي جمل بعدد الجمل التي يسمعونها، فيكتفون بمقولات قليلة جداً تغنيهم عن كل ما يسمعونه، ثم تصبح ملايين التآليف الممكنة متوفرة لهم بصورة آلية. وتلك إحدى خصائص المهمة للنحو الإنساني [٢].

أعضاء اللغة ومُورثات النحو

هل يمكن أن يوجد مُوَرث معين، يرتبط بشيءٍ محدد مثل النحو ؟

الدماغ آلة عامة للتعلم، وهو معد لتعلم أي شيء، وخال من أي محتوى، وليس له شكل محدد قبل التجربة التي تُستمدُ من الثقافة المحيطة.

يعتقد علماء الأحياء، أن هناك مُوَرِّثاً سائداً يتحكم في القدرة على تعلم النحو، فإذا كان هذا الاعتقاد صحيحاً، فما الوظائف التي يقوم بها هذا المُوَرِّث؟ إن كان هذا المُوَرِّث موجوداً، ربما كان أهم وظيفة لهذا المُوَرِّث –هو القيام ببناء عضو اللغة – وهو استعارة من تشومسكي – كما أن لهذا المُوَرِّث دوراً آخر، وهو أن تكون دوائر الدماغ مُعَدة لتنفيذ الأدوار التي أناطتها بها تلك المُوَرِّثات [٣].

الخاتمة

لا يمكن للتعلم أن يحدث بدون الآلية الفطرية، غير أنه لا يمكن كذلك أن نغفل دور الوراثة والبيئة كلاهما في التعلم، ومن العبث أن نحاول وصف السلوك اللغوي مباشرة، فهو لا يتشابه عند أي فردين في لغة ما، بل إن السلوك اللغوي المحتمل حتى عند شخص واحد، لا يمكن إحصاؤه. لكنْ يمكن أن يولد العدد النهائي من الجمل بنظام نهائي من القواعد، أي النحو، ولهذا فإن من المشروع إذن أنْ ندرس النحو العقلي، والآليات النفسية التي تقوم وراء السلوك.

ومع أَنه لا يوجد تفاهم متبادل بين اللغات إلا أن هذا المظهر الاختلافي يخفي وراءه التصميم الحوسبي الواحد للنحو الكلي، بما يشمل عليه من أسماء وأفعال وبنى المركبات وبنى الكلمات والحالات الإعرابية وغير ذلك.

(١) الغريزة اللغزية، ص ٣٦٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٦٥.

(٣) الغريزة اللغوية، ص ٣٧٩

وعليه، فإن المعرفة الفطرية توحي بوجود عقل يتميز بقوالب حوسبية، بدلاً من كونه صفحة بيضاء، أوْ حاسوباً يصلح لجميع الأغراض.

المراجع

باقر، مرتضى جواد، (٢٠٠٢م)، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ط١، عمان: دار الشروق.

التوني، مصطفى، (١٩٨٨)، المدخل السلوكي لدراسة اللغة، حوليات كلية الآداب.

سامسون، جفري، (١٤١٧هـ)، مدارس اللسانيات: التسابق والتطور، ترجمة محمد زياد كبة. ط١، الرياض: مطابع جامعة الملك سعود.

بيكرتون، ديريك، (٢٠٠١م)، اللغة وسلوك الإنسان، ترجمة محمد زياد كبة. ط١، الرياض: إدارة النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، ١٤٢٢هـ.

زيدان، محمود فهمي، في فلسفة اللغة، ط١، بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م.

بنكر، ستيفن، (٢٠٠٠م)، الغريزة اللغوية، كيف يبدع العقل اللغة، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني. ط ١، الرياض: دار المريخ، ١٤٢٠ هـ.

العصيلي، عبد العزيز بن إبراهيم، (١٤٢٠هـ)، النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية، ط١، الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

العصيلي، عبد العزيز بن إبراهيم، علم اللغة النفسي، ط١، الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، ١٤٢٧هـ.

تمبل، كرستين، المخ البشري، مدخل إلى دراسة السيكولوجيا والسلوك، ترجمة عاطف أحمد (د. ط) ص٨٤. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (ع، ٢٨٧) (سلسلة عالم المعرفة ، ع ٢٨٧) .

كوربـاليس، مايكل، (٢٠٠٦)، في نشأة اللغة، ترجمة محمود ماجد عمر (د. ط)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مارس (سلسلة عالم المعرفة، ع ٣٢٥).

الموسوعة اللغوية، (١٤٢١ هـ)، تحرير ن. ي. كولنج. _ ط١ م٢، الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

توما سيللو، ميشيل، (٢٠٠٦م)، الثقافة والمعرفة البشرية، ترجمة شوقي جلال ط١، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ، (سلسلة عالم المعرفة، ع ٣٢٨). (سلسلة عالم المعرفة، ع ٣٢٥) .

Reference:

Baqir, Mortada Jawad, (2002 AD), Muqadimat fi nazariat alqawaeid altawlidiati, 1st Edition, Amman: Dar Al-Shorouk.

Al-Tuni, Mustafa, (1988), almadkhal alsulukiu lidirasat allughati, Annals of the Faculty of Arts.

Samson, Jeffrey, (1417 AH), Madaris allisaniaati: altasabuq waltatawur, translated by Muhammad Ziyad Kubba. 1st floor, Riyadh: King Saud University Press.

Bickerton, Derek, (2001 AD), Allughat wasuluk al'iinsan, translated by Muhammad Ziyad Kubba. I 1, Riyadh: Department of Scientific Publishing and Printing Press, King Saud University, 1422 AH.

Zidan, Mahmoud Fahmy, Fi falsafat allughati, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Nahda Al-Arabiya, 1405 AH, 1985 AD.

Bunker, Stephen, (2000 AD), Algharizat allughawiati, How the Mind Creates Language, translated by Hamza bin Qabalan Al-Muzaini. 1st floor, Riyadh: Dar Al-Marikh, 1420 AH.

Al-Osaili, Abdul Aziz bin Ibrahim, (1420 AH), Alnazariaat allughawiat walnafsiat wataelim allughat alearabiat, 1st Edition, Riyadh: Indexing of King Fahd National Library during publication.

Al-Osaili, Abdul Aziz bin Ibrahim, Ealm allughat alnafsii, 1st Edition, Riyadh: Cataloging the King Fahd National Library during publication, 1427 AH.

Temple, Christine, The Human Brain, Madkhal 'iilaa dirasat alsiykulujia walsuluk, translated by Atef Ahmed (Dr. I), p. 84. Kuwait: The National Council for Culture, Arts and Letters. (p. 287) (The World of Knowledge Series, p. 287).

Corbalis, Michael, (2006), Fi nash'at allughati, translated by Mahmoud Majid Omar (d. I), Kuwait: The National Council for Culture, Arts and Letters, March (The World of Knowledge Series, p. 325).

Almawsueat allughawiata, (1421 AH), Edited by N. j. Colling. _ 1st floor, 2nd floor, Riyadh: Cataloging of King Fahd National Library during publication.

Thomas Cello, Michel, (2006 AD), Althaqafat walmaerifat albashariatu, translated by Shawki Jalal, 1st edition, Kuwait: The National Council for Culture, Arts and Letters, Jumada al-Ula 1427 AH, (The World of Knowledge Series, p. 328). (The world of knowledge series, p. 325).